Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رواية مصرية

لغز الرحمة وجنات الصحراء

تأليف

عبد اللطيف فاكه

حسن مرعي

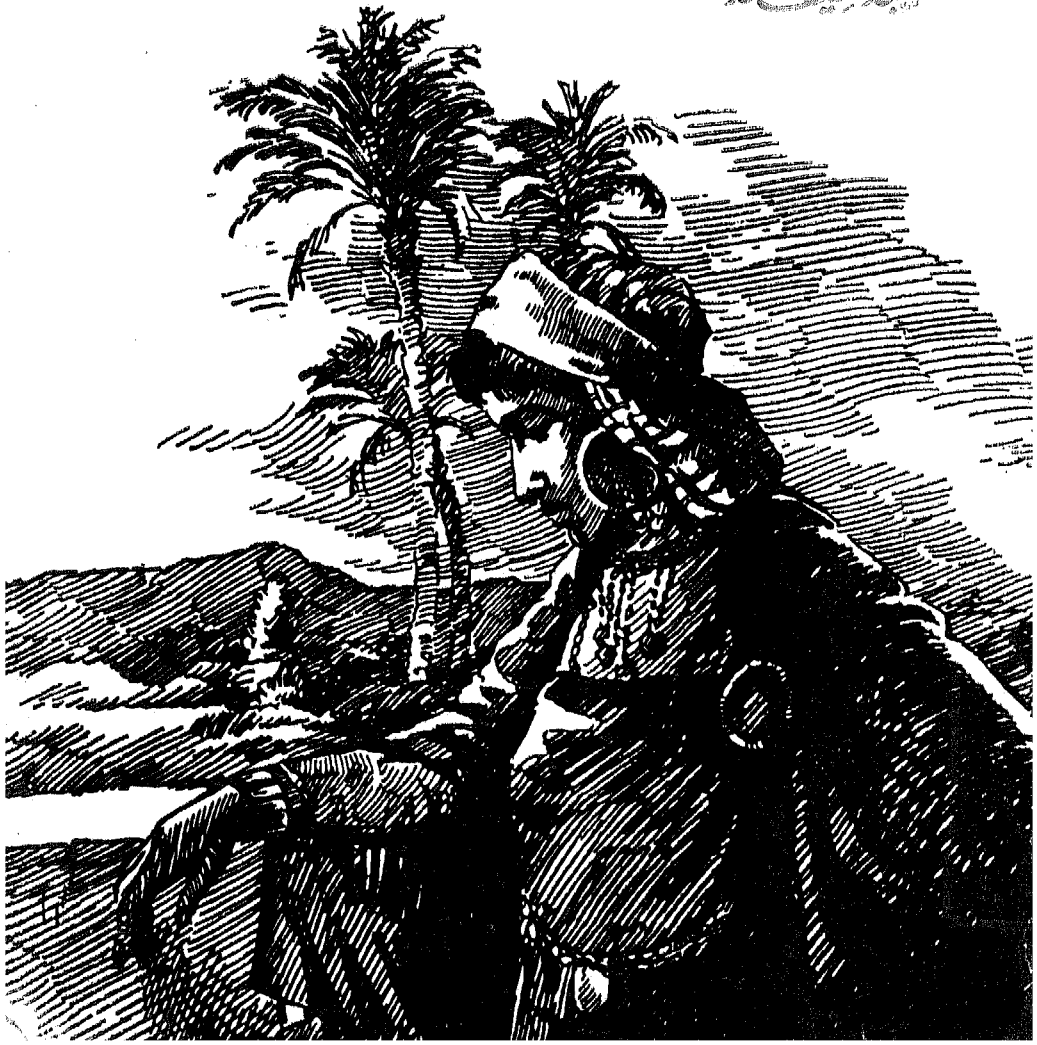

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اهداءات ٢٠٠١

أ.د. محمـــــود ديـــــــاب

جراح بالمستشفى الملكي المصري

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واحات مصر

جزر الرحمة وجنات الصحراء

تأليف

عبد اللطيف واكد

حسن مرعي

الطبعة الأولى

١٩٥٧

دار الطباعة الحديثة

٥ شارع فريد النوبي - ت ٤٩٣١٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النَاشِرُ

مكتبة الانجلو المصرية

٢٦٥ شارع محمد بك فريد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

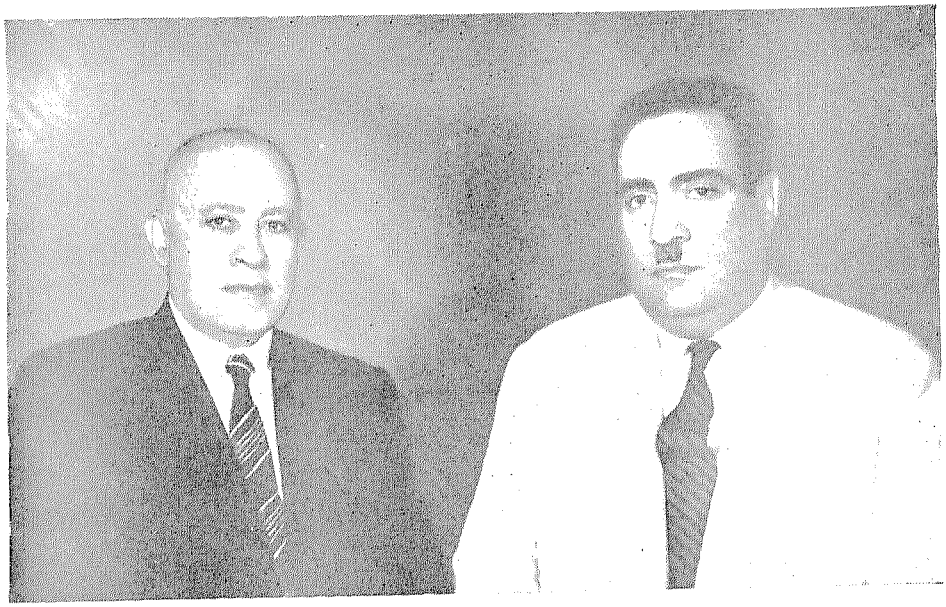

عبد اللطيف واكد

حسن مرعي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقدمة

جنات الصحراء

إن أصواتاً تَهْتِفُ بنا من بعيد، من روابي المستقبل . . « أن هيئوا لنا عيشا طيباً ، ومُقاماً حميداً ، قبل أن تجيئوا بنا إلى الحياة الدنيا ، كما هيَّأ لكم أجدادكم الأقدمون . ! ! »

تلك الأصوات التى ينحدر إلينا هُتافُها ، من روابي المستقبل . . تُهيب بنا أن نُهَيِّىء لها عيشا طيباً ، ومُقاماً حميداً ، قبل أن نجيء بها إلى الحياة الدنيا ، ما هى إلاّ أصوات الأجيال المقبلة ، التى سوف تهبط من سمائها إلى أرض مصر ، لتجد الوادى قد عجز عن إعالة بنيه ، وليس هنالك من « شِبرٍ » من ثراه الخَصْب ، يمكن أن يكون خالياً من يدٍ تُفلحه ، لتحصل من بين ذراته على لقمة الخبز ، فنحيا حياة أيسرُ مايُقال فيها ، إنها ريبة الشظف والكفاف . . ! !

وسوف لا يكون العيش الكفاف ميسوراً ، بعد عدة أعوام ، ربما لا تطول ، وسوف لا تطول قطعاً ، ما دمنا نستورد أقواتنا من خارج بلادنا ، ويد الإهمال تشلُّ من سواعدنا ، فتقعد بنا عن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

استنباط كفايتنا من ثرى أرضنا ، ونحن على ما نحن عليه من عدد يكاد يكون ضئيلاً ، إذا ما قيس بما سوف يطفر إليه تعداد السكان فى الأعوام القادمة . . ! !

إن ازدياد عدد السكان آخذ فى اطّراده ، دون ما توقّفٍ أو تمهّل . . وكيف يُمكن أن يتوقف ، وكيف يمكن أن يتمهل . . والنساء اللواتى فى سن الحمل والإخْصَاب[1] ، يُمثلن ٧٥ ٪ من جملة عدد نساء الجمهورية ، وذلك كما جاء فى تعداد ١٩٤٧ . والجمهرة الغالبة من السكان ، لا تعرف علاجاً لتحديد النسل ، ولا طريقة لتنظيم الإنسال . . ! !

ولعل المتفائلين من رجال الاقتصاد ، هم الذين يقدّرون أن الزيادة العددية بين السكان ، تسير بمعدل منتظم . وذلك فى حدود مليونين من الأنفس كل عشرة أعوام . . ولكن الواقع الذى تدل عليه الإحصاءات ، له غير هذا المنطق ، فقد كانت الزيادة فى العشرة الأعوام التى تنحصر فيما بين عامى ١٩١٧ و ١٩٢٧ عبارة عن ٢٥٠٫٠٠٠ نسمة فى العام ، أى بمعدل مليونين ونصف مليون من الأنفس ، وفى السنوات العشرة التى تلتها . كانت الزيادة بنسبة

---

(١) سن الإخصاب للمرأة بين ١٥ سنة و ٤٩ سنة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣٠٠,٠٠٠ نسمة فى العام الواحد . أى بمعدل ثلاثة ملايين ، وفى المدة من ١٩٣٧ إلى ١٩٤٧ كانت نسبة زيادة السكان عبارة عن ٤٢٠,٠٠٠ نسمة . . وعلى هذا القياس ستكون النسبة فى العشرة الأعوام المنحصرة مابين عامى ١٩٤٧ — ١٩٥٧ عبارة ٥٩٠,٠٠٠ نسمة ، أى بزيادة ستة ملايين من الأنفس فى الفترة المذكورة . . وهذا رقم يُعلن فى إصرار ، وفى صوت مُدَوٍّ بأننا عما قريب سنكون أربعين مليوناً من الأنفس ، فى الوقت الذى ما زالت المجالات الإنتاجية محدودة ، إن لم تكن مُغَلَّقة الأبواب ، موصدة النوافذ ، والمنافذ ، والسُّبُل . . !

وكيف لا تكون مجالات الإنتاج مُغَلَّقَة الأبواب ، وهناك كما يَدُلُّ الإحصاء الأخير ، أكثر من مليونين من الأفراد الراغبين فى العمل ، والقادرين عليه ، لا يجدون عملا منتظماً يرتزقون مِنْ ورائه . . وإذا علمنا « أن متوسط أجر العامل الزراعى الذى يمثل السواد الأعظم من العمال فى مصر ، فى أيام العمل خلال عام ١٩٥٠ . كان عشرة قروش فى اليوم ، وأن متوسط عدد أيام العمل الزراعى يبلغ ١٨٠ يوماً فى السنة ، تبين لنا من ذلك أن متوسط الدخل اليومى للعامل الزراعى لا يزيد على الخمسة قروش ، والقوة الشرائية للخمسة القروش فى عام ١٩٥٠ ، تساوى القرش الواحد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أو بضعة عشر مليماً من نقود سنة ١٩٣٩ وما قبلها ، وقد يكون العامل ممن يعولون أطفالاً لا يعملون . فتكون معيشتهم ونفقتهم محملة لهذا الدخل الهزيل لعدد عظيم[١] من المواطنين » فماذا قد أعـــددنا لهؤلاء المتعطلين . . ؟ ؟ وماذا قد أعددنا لأولئك الوافدين . . ؟ ؟

إن الأرض الزراعية التى تعتبر الدعامة الأولى فى كيان اقتصادنا القومى ، لم تزد فى خلال خمسين سنة إلاّ بقَدَر.. وهذا القَدْرُ الذى زادته لا يتجاوز ٥٦ ٪ مما كانت عليه فى عام ١٩٠٧ . بينما عدد السكان قد قفز إلى نسبة هائلة . . وكيف لا تكون هائلة وقد بلغت ٢٣٠ ٪ مما كانت عليه فى ذات العـام ، فأين . أين التناسب بين الزيادتين . . ؟ ؟

لهـذا . . فليس غريباً ، أن يهبط نصيب الفرد فى المساحة المنزرعة . من ٤٨ ٪ من الفدان فى عام ١٩٠٧ إلى ٢٧ ٪ فى عام ١٩٥٢ . . وفى المساحة المحصولية من ٦٧ ٪ فى عام ١٩٠٧ إلى ٤٢ ٪ فى عام ١٩٥٢ ، وسيكون عمـا قريب دون ذلك بكثير . . ! !

---

(١) « مبادىء علم الإجتماع » . للدكتور صلاح العبـد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأما نصيب الفرد فى الدخل الأهلى العـام . وإن يكن ٣٩ جنيها عام ١٩٥٤[١] ، إلاَّ أن نسبة الغلاء فى ذات العام ٣٠٦ ٪ بالنسبة لأسعار سنة ١٩٣٩ وما قبلها ، وهذه النسبة تهبط بهذا القدر إلى ما دون ذلك بكثير ، أى إلى ١٢,٤٢ جنيه . . وذلك فى حين أن دخل الفرد فى اليونان وتركيا ٦٥ جنيهاً فى العام . وفى إيطاليا ١٠٧ جنيهات ، وفى فرنسا ٢٤٠ جنيهاً ، وفى إنجلترا ٢٨٤ جنيها ، وفى أمريكا ٧٩٩ جنيهاً . . فأين نحن من هؤلاء وأولئك . ؟ ؟

وأمام هذه الأرقام التى لا تعرف المواربة ، ولم تعتنق بعد مذهب الخداع إذ هى كما قال الشاعر :

واستنطق الأرقام فهى كفيلةٌ بسداد منطقها ، ونعم المنطق .![٢]

أمام هـذا وجب علينا أن نشحذ العزائم ، وأن نستنهض الهمم ، وندعوا الأيدى للتضافر . . على أن يُؤمِنَ كل مواطن من أعماقه ، بأنه شريك فى هذا العبء ، وعليه أن يؤدى واجبه نحو وطنه ، مُقَدِّمًا العَوْنَ فى غير مَنٍّ أو تراخٍ ، ولا رائد له إلّا خير المجموع ، قبل صالح الفرد . . ! !

---

(١) من تصريح لوزير المالية فى نوفمبر سنة ١٩٥٤ .

(٢) الشعر لواكد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إذا حدث هذا .. ويجب أن يحدث .. وآمنّا بالعمل بمبدأ التقوّل الذى لا مغنم من ورائه ، إلاّ الدعاية الرخيصة تثبيط الهمم . . إذا حدث هذا نرى أننا سنكون عند حسن الأجيال المقبلة ، وأننا سنعمل لتهيئة العيش الطيب ، والمقام لأولئك الأحفاد ، قبل أن نجيء بهم إلى الحياة الدنيا ، أجدادنا الأقدمون . . ! !

وعملاً بهذا المبدأ ، وإبرازاً لهذا العَوْنِ الوطنى فى صوره أقدمنا فى عام ١٩٥٣ ، على إصدار كتابنا : « الصحراء » الطريق نحو تلك الآفاق الصالحة للاستثمار والزراعة فى الم كما كشف عن تلك الكنوز الغوالى ، التى تطمرها الرمال الخطوط الأولى لاستغلال تلك البقاع ، المترامية الأطراف ترقد فى ربوعها أمانى المستقبل . . فيما تصلح له من الاستغلال . . والانتفاع بتلك الثروات المدفونة ، تار معبدة نحو كل هدف ، ليسلكها المواطنون ، كلٌّ بما فى إمكانيات ، يستطيع بها أن ينفذ إلى هدفه ، ليعود من طالت مُدَّتهـــا أو قصرت ـ للبلاد ، بالدُرِّ من أع الخضم العظيم . . ! !

ولقد أدينا بهذا الكتاب « كتاب الصحراء » بعضًا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الوطنى ، رأينا أن نتبعه البعض الآخر ؛ كلما واتت الفرصة ، ولاءمت الظروف ، وأقبلت المناسبة . . ! !

أما المناسبة التى أقبلت ... والفرصه التى واتت . . فقد بعثتهما تلك الضجة التى تحدث الآن حول الصحراء . . الأمر الذى أدَّى بالعقول لأن تتواثب ، والأذهان لأن تتسابق ، لاقتناص كل شىء عن « الصحراء » . . ! !

وفى غمار هذه الضجة ، وأمام هذا التواثب العقلى ، والتسابق الذهنى ، رأينا أن نخطو خطوتنا الثانية ، وذلك بإصدار كتابنا هذا « واحات مصر » وفيه دراسة كاملة شاملة لكل شىء ، فى تلك الجنات النائية فى أطراف الصحراء . حتى نجعل الأذهان مهيئة لتَقَبُّل الحياة فى تلك البقاع ، بين ذلك الفريق الآخر من المواطنين ، الذين كان من نصيبهم أن ينشأوا فى الواحات ، على أخلاق وطبائع غير التى نشأ بها أبناء الوادى والمدائن . . !

وثَمَّ أمرٌ آخر نهدف إليه ، من إخراج هذا الكتاب ، ذلك لكى ندرأ عن الأذهان ما عَلِق بها من تلك الخرافات . التى أغْرَق فى ذكرها عن الواحات . كُتَّابُ العرب والإفرنج على السواء ، محاولين إدخالها على العقول كحقائق ثابتة ، تاريخية أو اجتماعية ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإن كانت تتنافى مع الحقيقة ، رأيدهم فى ذلك إيجاد عنصر التشويق فى كتب ينشرونها للترويج لتلك الكتب ، أو لخضوعهم لسلطان الخرافات والأوهام .

وإن لدراسة البيئة والطقس ، والماضى والحاضر . . والتعرف على بوارق الأمل ، التى تنبثق فى تلك الآفاق ، فتضىء الطريق نحو المستقبل القريب والبعيد . . إن لهذا كله من الآثار الحسنة ، فى نفس من يعتزم الرحيل ، ما يجعل العزم يقوى ويشتد ، ويجعل النفس فى قرارتها تنعم بالاطمئنان إلى الحياة الجديدة ، وكيف لا تطمئن نفس للحياة فى بيئة ، وجدت كل الأسلحة التى يمكنها أن تدعِّم بها حياتها فى تلك البيئة . . ! !

والواحات المصرية . . ليست حديثة العهد ، والضجة التى تحدث من حولها ، ليست بالأولى فى نوعها ، فكلاهما قديم قِدَم الزمان ، كهل كهولة الأزل القائم . . فقط جرت عليها يد الإهمال ، فبدت رثة كالأسمال ، وأصبحت ذكريات بين القيل والقال ، ولكل مواطن رأىٌ فى شأنها ومقال . . ! !

وكلمة « واحات » . . كانت تطلق على مجموع الواحات السبع ، التى عرفها قدماء المصريين فى زمانهم . . وكلمة « واحة » كانت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للتدليل فقط على منخفض بذاته .. «كالواحة الكبرى» مثلا .. أى «الواحات الخارجة» الآن .. و«واحة الشمال» .. أى «الواحات البحرية» .. وذلك مما يدل على أن كل منخفض من منخفضات الواحات، كان وحْدَةً واحدة. متصلة الرقعة الزراعية، فيه نضرة دائمة وازدهار. متجدد الربع بما تزدان به حدائقه من ثمار وأزهار .. فيه الأغصان المِيَّادَة الوارفة الظلال .. والطيور الغرِدَة والماء الزلال ..!!

ولكن الواحة الواحدة. أصبحت واحات، إذ زحفت الأرض القاحلة الموات، حيث أكلت الجنات المزهرات، فانتشرت بين حدائقها الكاسية الخُضْرة، الفلواتُ المقفرة ذات الغَبَرَة، وجاء الخراب مُشَرِّعًا سيفه، فاستردَّ الكثير منها إلى سلطانه، والجهل والإهمال جميعاً من أعوانه، تعمل جاهدة فى توحيد دعائم اطمئنانه ..!!

ولقد عرف المصريون القدماء، الواحة باسم «أوتو Otou[1]» أى «مكان التحنيط» كما عُرفت باسم «وَيتْ Wait» أى «المومياء» وكلا الاسمين متصل المعنى مع الآخر .. ثم عُرفت فى اللغة القبطية باسم «واهى Wahy[2]» ومعناها «العامرة» أو «المعمورة» وهذه

(١) كانت هذه التسمية خاصة بالخارجة.
(٢) وهذه التسمية أطلقت على كل واحة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التسمية تدلُّ على ما كانت عليه الواحات فى ذلك العهد من ازدهار وعمران ، إذ معناها « البقعة الخضراء وسط موات الصحراء » وهذا هو التعريف الجغرافى للواحة . . ولقد جاء العرب إلى مصر ، فوجدوها مسماة بهذا الاسم ، فلم يحاولوا تغييره . . ! !

وكان قدامى المصريين يطلقون على الواحات ، فى كل عصر اسماً يتناسب مع ما كانت تستخدم فيه ، فى ذلك العصر من أغراض ، على أن تلك التسميات ، وإن تعددت وكثرت ، فقد كانت جميعا لا ترمى إلّا لتميز هذه المنخفضات الحية ، عما يحيط بها من أرض قاحلة موات . ! !

وعندما زار المؤرخ اليونانى « هيرودوت » مصر ، وجد المصريين يطلقون على الواحات « جزر الرحمة » لأنها عن جدارة ، الملاذ الرحيم الذي يقدِّم الراحة والطمأنينة ، هِبَة لكلِّ مرتحل فى دروب الصحراء القاحلة ، ومفاوزها الوعرة ، يقدِّم الراحة بعد تلك الرحلات الطويلة الشاقة ، فيُشْعِرُ المرتحل بجمال الحياة ، بين الجداول تترقرق بالماء النمير ، والظلال تنشرها الأشجار الميادة الأغصان . . وهى ولا شك الأمل الباسم ، والرجاء المرتقب الذى تيممه القافلة ، بين ذلك البلقع العريض الموحش ، لذا فليس بِدْعًا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أن يطلق عليها الرومان اسم « أويسز Oasis » أى « نهاية الراحل» أو « محطة الاستراحة » . . ! !

ولقد عَرَّف « زوزماس Zosimus » الرومانى الواحة ، بأنها جزيرة بعيدة وسط الصحراء ، كل من رسا عليها ، لا يمكنه الإقلاع عنها ، إذ لا يستطيع أن يتخذ إلى الهرب سبيله ، فى طرق صحراوية قاحلة جرداء ، ليس لأقدام البشر بها من أثر ، يمكن الاهتداء به إلى سواء السبيل . ! !

وللواحات موقع جغرافى ، وظروف طبيعية جعلتها ذات أهمية خاصة ، فلعبت بفضلها أدواراً شتى فى حياة الشعب المصرى . . فالمصريون القدماء ، اتخذوا منها مستعمرات لنفى المجرمين والأشقياء ومقبرة لجثثهم عندما يموتون ، حتى لا تلوّث بأدرانهم أرض الكنانة المقدسة . . وبمرور الزمن أصبحت الواحات ملجأ لجماعة المطرودين ؛ كما صارت ملاذاً صالحاً للرهبنة ، والتقشف ، والصوفية والزهادة الدينية ، لأولئك الذين كفروا بالحياة والأحياء . . ! !

أمامتى ضُمَّت الواحات لمصر . .؟؟ فإن « مانيثون Manethon »[1] . يعتبر الملك « سيشنق الأول » مؤسس الأسرة الثانية والعشرين ،

---

(١) مانيثون أو مانيثيوس : أول مصرى وضع تاريخ بلاده باللغة اليونانية وعاش فى عصر بطليموس الأول .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أول ملك ضم الواحات إلى مُلك مصر ، يرثها من يرث العرش ، ذلك لأنه من أصل ليبى ، وثب على فرعون ، فانتزع عرشه من بين يديه عام ٩٤٥ ق . م . وأسس دولته فى « تل بسطة[١] »

وكثيرون أولئك الذين يعتقدون أن أهمية الواحات ، بالنسبة لمصر ، كأهمية المزرعة الريفية بالنسبة للمدينة الضاحكة الصاخبة ، تمدها بالخبز والفاكهة واللحوم ، وليس لها شأن غير ذلك ، وهؤلاء هم الذين يعتقدون بأن مفتاح مصر الحربى ، رابض فى الشرق . . فى صحراء سيناء ، إذ تم غزو مصر عن طريق العريش ، أكثر من ثلاثين مرة ، وقليلون أولئك الذين يؤكدون بأن حدود مصر الغربية وواحاتها ، ليست بأقل خطراً من حدودها الشرقية ، فلقد أثبت التاريخ ، قديمه وحديثه ، أن مصر استهدفت للخطر الزاحف عليها من الغرب ، عدة مرات منذ فجر التاريخ . . فقبل عام ٢٩٠٠ ق . م . دأب قوم من الليبيين يعرفون بأهل « التمحّو » أو « التِّحنُّو » على مهاجمة الوجه البحرى وكان موطنهم فيما وراء الحدود الحالية ، بدليل أنهم كانوا يتخذون من واحة سيوه ، مركزاً رئيسيا لتعبئتهم العامة ، ومنها يزحفون على مصر ، الأمر الذى

---

(١) تل بسطة : قاعدة البلاد فى عهد الأسرة الثانية والعشرين وموقعها على كيلومترين فى الجنوب الشرق لمدينة الزقازيق وما تزال منها بقية ، وقد عمرها شيشنق الأول من الطين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اضطر الملك « سنفرو » آخر ملوك الأسرة الثالثة ، للخروج إلى الصحراء الغربية ، لوضع حدٍّ لهذا الخطر الذى يتهدد البلاد دائماً ، واستولى على هذه الواحة ، إذ اعتبرها معقلاً حربيا هاماً ، يمكن أن يقيه شَرَّ هجمات الليبيين . . !!

ويعتبر هذا الغزو ، أقدم ما قام به ملوك مصر فى ذلك الحين ، وفى عام ١٩٧٠ ق . م . أغارت القبائل الليبية ، على الوجه البحرى كعادتها ، فخرج إليهم « الملك سيزوستريس » ثانى ملوك الأسرة الثانية عشرة ، فردهم على أعقابهم فى قسوة .

وفى سنة ١٥٤٧ ق . م . بينما كان « الملك أمنحتب الأول ، مشتبكاً فى حرب ببلاد النوبة ، إذ انتهز الليبيون فرصة تغيب الجيش والملك ، وهجموا على مصر ، غير أن فرعون أسرع إليهم ، وأنزل بهم خسائر فادحة .

وفى عهد « الملك منفتاح » اتحد الليبيون مع قراصنة البحر الأبيض ، وهاجموا مصر من البر والبحر .. ولكن فرعون مزقهم كل ممزق .

وفى السنة الخامسة من حكم « رمسيس الثالث » تكررت حادثة الزحف . . وفى عام ٩٦٩ م اقتحمت الجيوش الفاطمية ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حدود مصر الغربية واستولت عليها . . وليس ببعيد عن الأذهان ، ماكان من غزو جيوش المحور للصحراء الغربية ، واحتلالهم لواحة سيوه فى يوم الإثنين ٢٠ يوليو سنة ١٩٤٢ وجلائهم عنها فى الثامن من نوفمبر سنة ١٩٤٢ بعد انكسارهم فى معركة العلمين .

هذه هى الواحات الغربية ، أو بمعنى أصح « باب مصر الغربى » نقدمها للقراء معقلا معقلاً . . أو واحة واحة . ليعرفوا مدى إمكانيات هذه المعاقل الاقتصادية ، ويقفوا على حال الأهلين الاجتماعية ، وماكان لهذه الواحات من أهمية فى التاريخ ، ومايمكن أن يكون لها من أهمية فى الاقتصاد القومى بالنسبة للبلاد .

ولعلنا بهذا العمل نكون قد أضفنا لبنة أخرى ، للجدار العريض الذى نرجوه متيناً قوياً فى صرح الاقتصاد المصرى . . والسلام ؟

المؤلفان

واكد ومرعى

القاهرة فى يوم ٩ / ٧ / ١٩٥٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الأول

الواحة الكبرى

الواحات الخارجة

١ — الموقع الجغرافى — المساحة — المناخ — الطرق المؤدية إليها . . ! !

٢ — فى ثنايا التاريخ . .

٣ — تعال معنا إلى . . الواحات الخارجة . . ! !

٤ — الحياة الاجتماعية . .

٥ — الحياة الاقتصادية . .

٦ — الزراعة الاشتراكية . . ! !

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الواحة الكبرى

الواحات الخارجة

الفصل الأول

الموقع الجغرافى

و

(المساحة)

يحدد الجغرافيون نهاية المنخفض الشمالية ، عند خط ٢٥ و٣٠° شمالا[1] ، ومعنى هذا أن النهاية الشمالية « للواحات الخارجة » تقع عند « معبد هيبس » مخلفة وراءها قريتى « الشركة » و « المحاريق » وسهول « عنيبة » والأراضى الممتدة حتى « عين الغزال » وما بعدها ، مسافة ٧٥ ك . م . من شمال « الخارجة » حتى نهاية المنخفض .

كما يحددون نهايته الجنوبية بخط ٢٤ و٣٠° شمالاً ، أى فيما وراء « عزبة القصر » بقليل ، وبذلك يكون طول المنخفض من الشمال إلى الجنوب ، حوالى ١٢٠ ك . م .

أما نحن .. فنقدره على أساس المساحة التى يمكن أن تستعمر

---

(١) Collet L.W. - L'oasis de khargah Ann. C. Nov. 1926

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالزراعة ، على المياه الجوفية أولا .. ثم نقدره على أساس الامتداد الجنوبي فيما وراء « باريس » الذى يمكن أن ننفذ إليه بماء النيل من « عنيبة » عبر « محاجر خفرع[1] » .

أما على الأساس الأول ، فإن المنخفض ينحصر بين خطى ٢٤° و ٢٦° شمالاً ، أى مسافة ٢٠٠ ك . م . طولاً بعرض يتراوح بين ١٥ ك . م و ٨٠ ك . م . أى بمتوسط يقرب من ٤٠ ك . م . وبهذا تكون مساحة المنخفض ٢,٠٠٠,٠٠٠ فدان ، فإذا استبعدنا من هذا القدر المساحى ٤٠٪ كأراضٍ غير صالحة ، وكدوات حجرية ، وهضاب ، وما إلى ذلك .. كان الباقى عبارة عن ١,٢٠٠,٠٠٠ فدان يمكن أن تستثمر زراعياً ..!

أما على الأساس الثانى ، فان نهاية المنخفض الشمالية ، ثابتة عند الخط ٢٦° شمالا لا تغيُّر فيها ، وأما حدوده الجنوبية فتقع جنوبى « مدار السرطان » عند الخط ٢٢,٥° شمالا . أى بامتداد قدره ٣٧٠ ك . م . من شمال المنخفض إلى جنوبه . فى عرض ٤٠ ك . م . فتكون مساحته ٣,٧٠٠,٠٠٠ فدان .

فاذا ما استبعدنا من هذه المساحة ٤٠٪ على الأساس السابق ذكره فى الحالة الأولى . كان الصافى الذى يمكن استثماره زراعيا

---

(١) فى نهاية هذا الباب بحث لهذا المشروع .

٢,٢٥٠,٠٠٠ فدان ،وهذه مساحة لا يستهان بها ، بالنسبة لمساحة الأراضى الزراعية فى مصر .. !!

أما منسوب المنخفض بالنسبة لسطح الصحراء المحيطة به ، فان قراره ينخفض عن سطح الهضبة المطلة عليه ، من ٣٥٠ مترا إلى ٤٠٠ متر ..

وأما منسوب المنخفض بالنسبة لمستوى سطح البحر ، فيعتبر ذا مناسيب متعددة . تنحصر بين + ٢ متر إلى + ٧٥ متراً .. فمدينة « الخارجة » على ارتفاع + ٧٥ متراً من سطح البحر ، بينما منسوب نهاية « منطقة الزيان » فى مقابل « الخارجة » + ٢ متر « وبولاق » على كنتور + ٢٩ متراً ، وباريس بين + ٥١ متراً و + ٤٠ متراً .

المنـــاخ

ولقد أصبح من أوجب الواجبات ، على كل من يتصدى لدراسة منطقة من المناطق ، أو إقليم من الأقاليم ، أن يعرِّج على مناخه بالدراسة العميقة ، والتحقيق الدقيق ، حتى يخلص من دراساته وتحقيقاته ، إلى صورة واضحة المعالم ، لحياة الإنسان ، والحيوان ، والنبات فى ذات الإقليم .. ليمكن — على ضوء هذه الصورة — لكل راغب فى النزوح لهذا الإقليم . أن يضع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأسس المتينة لحياته فيه ، قبل انتقاله إليه ، إذ يستطيع مثلا أن يرسم الخطوط الأولى للمسكن الذى سيسكن إليه ، وأن يتخير الزراعات التى سيعمر بها أرضه . . وأن ينتخب الحيوان الذى سيقتنيه . . !!

فالمناخ إذن . . هو العامل الوحيد الذى يتحكم فى مصائر هذه الكائنات الحية الثلاثة . . من حيث النمو ، والإنتاج . . سواء أكان هذا الإنتاج فكرياً أو مادياً . .

فبالنسبة للإنسان . . يتحكم الطقس فى ساعات العمل ، وفى أوقاته . . فالأجواء الباردة أكثر ملاءمة للعمل من الأجواء الحارة ، ولذا فان الإنسان فيها ، ذو قدرة على الإطالة فى ساعات عمله ، إلى أبعد مدًى ممكن ، دون ما كلل أو ملال . . وفيها يكون الذهن صافياً ، لا تبلد فيه ، وهذا المقياس واضح كل الوضوح ، بالنسبة لسكان مناطق الشمال ، إذا ما قورنوا بسكان مناطق خط الاستواء . . !

وأما بالنسبة للحيوان . . فملاءمة الطقس تدفع على النمو والإنسال ، والقدرة على العمل أيضاً . . أما بالنسبة للنباتات . . فيعتبر النبات المقياس الدقيق للطقس فى أية منطقة ، فمن النباتات ما يمكنه النمو تحت ظروف طقس ما ، ولكنه مع نموه الملحوظ لا يزهر . . وربما يزهر ولكن أزهاره لا تعقد ثماراً . . وإن عقدت ثمارها فربما لا تكوّن بذوراً . . وذلك لاختلاف يسير

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى درجة الحرارة ، أو لتباين فى درجات الرطوبة النسبية . . وواضح جداً أن قصب السكر ينجح فى مصر ، ولكنه لا يعطى البذور التى يعطيها فى مناطق خط الاستواء . . ! !

وربما تعقد الأزهار ثماراً . . ولكن هذه الثمار لا تنضج النضج التام ، الذى تكون عليه فى منطقة أخرى ملائمة الطقس . . فنخيل البلح مثلا يلزم لكى ينتج إنتاجاً ناجحاً ، وينضج محصوله نضجاً جيداً ، حتى الأصناف الطرية منه الغير صالحة للتعبئة ، أن يزيد متوسط الحرارة فى الظل ، بالجو الذى يقوم فيه النخيل عن ٢٦,٦° سنتيجراد ، وفوق ذلك فى المدة من أول يونيو إلى آخر أغسطس ، أى وقت النضج . . ! !

على أن النخيل لا يزهر إذا ما زرع فى جو أقل حرارة من ١٨ سنتيجراد ، وإن كان نموه لا يتأثر . . ! .

أما إذا انخفضت درجة الحرارة عن ١٠ سنتيجراد ، فان النمو يتوقف تماماً ، فى حين أن درجة ٣٥ سنتيجراد تجعل النمو على أشده . . ! !

« وشجرة النخيل يمكنها أن تنمو جيداً ، فى الأماكن الرطبة ، ولكنها تكون رديئة الإثمار ، ما لم يكن الهواء جافاً جداً ، وهناك شواهد عدة على أن الجو شديد الجفاف ، يوافق تماماً إنتاج بلح عالى القيمة ، وأن أفضل الثمار تنتج فى أشد المناطق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حرارة وجفافاً ، فى الأماكن التى تكون على بعدٍ كافٍ من شاطىء البحر ، أو من أية مساحة مائية كبيرة[١] » يمكن أن تتسرب رطوبتها ليتشبع بها الجو القائم فيه النخيل . . ! !

ولقد دلت التجارب التى أجريت فى مزارع مصلحة البساتين ، على « أن اجتماع الرطوبة المرتفعة نسبياً ، مع الحرارة المعتدلة ، مما يساعد بلا شك ، على زيادة عقد الثمار فى أشجار القشطة المعروفة « بالشريموليا » ، أكثر مما يحدث فى الصنف المعروف « بالإسكواموزا » .

وفى المناطق المنخفضة الرطوبة نسبياً ، مثل الجيزة والجزيرة بقرب «القاهرة» ، لا تثمر أشجار « الشريموليا » أكثر من اثنتى عشرة ثمرة ، إذا تركت بدون تلقيح يدوى[٢] » .

« ويبدو تأثير المناخ على تلوين ثمار التفاح ، بجلاء ووضوح ، إذ تتوقف درجة تلوين الثمار ، على مدى انخفاض درجة الحرارة فى فترة السكون ، وكذلك طول هذه الفترة ، إذ يحتاج التفاح لكى يتم تلوين ثماره تلويناً كاملا ، لشتاء قارس طويل الفترة أما إذا قصرت فترة السكون ، وارتفعت درجة الحرارة

---

(١) ص٧ الظواهر الجوية وعلاقتها بنخيل البلح فى مصر «أحمد كامل القمراوى»
(٢) ص ١٤ إلقاح القشطة وانتخابها « محمد سيد أحمد »

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأعقب فترة السكون صيف مرتفع الحرارة غير قصير الأمد ، فان التلوين يكون غير تام » .

مما تقدم .. يتبين لنا بوضوح ، مدى ارتباط حياة النبات « بالطقس » سواء أكان ذلك فى حالة النمو ، أو الإثمار ، أو الإنضاج .. ولهذا رأينا أن ندرس مناخ كل واحة على حدة ، وبالتفصيل ، حتى يكون البحث وافياً بالغرض الذى وضع من أجله ..

وعناصر الطقس التى يهمنا أمرها ، فى هذه الأقاليم التى نحن بصدد تقديمها للقراء هى :

(١) الحرارة .. !!　　(٢) الأمطار .. !!

(٣) الرطوبة النسبية .. !!　(٤) التبخر .. !!

(٥) الرياح .. !!

طقس الواحات الخارجة

إذا نظرنا لموقع « الواحات الخارجة » وقدّرنا حقيقة بعدها عن البحر ، وجدنا أنها بحكم هذا الموقع ، وذلك البعد الذى يزيد عن الأربعمائة كيلو متر ، لابد وأن تكون صحراوية المناخ .. !!

و « القياس الوحيد لمناخ الصحراوى ، هو « الجفاف » ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وللجفاف بدوره صلة بعدد من الصفات الثانوية « كضوء الشمس » و « درجة الحرارة » و « نوع التضاريس » و « التربة » كما أن « الجفاف » لا يرتبط بحال ، بسقوط المطر فحسب ، بل تكيِّفه عدة ظروف ، قد تخفف من حِدته ، أو تزيد منها[1] ..

وبالرغم من إيغال « الواحات الخارجة » فى قلب الصحراء ، وبعدها عن البحر بمئات الكيلو مترات ، فان حرارتها ليست بالقاسية صيفاً ، وبرد شتائها ليس بالشيء الذى يذكر ، إذا قيس بشتاء « القاهرة » مثلا ، إذ أن درجة الحرارة « بالواحات الخارجة » ، تدور حول رقم ٢٢° عند الظهر ، وإذا ما انتصف الليل هبطت إلى ٠,٦° وذلك فى يناير ، بينما تكون فى « القاهرة » ١٩,٧° ظهراً و ٧,٦° عند منتصف الليل .. إذن فشتاؤها أدفأ من شتاء « القاهرة » نهارا ، وأبرد قليلا أثناء الليل .. أما فى الصيف فالفارق بين طقس « القاهرة » و « الواحات الخارجة » ، لا يزيد عن الأربع درجات .. وتكاد « الخارجة » و « أسيوط » تقتربان فى الحرارة ، أما « قنا » فان حرارتها صيفا تزيد بثلاث درجات عن حرارة « الخارجة » .

ويلعب « الجفاف » دوراً هاماً . عندما ترتفع درجة الحرارة ، فالطقس الحار الخالى من الرطوبة يمكن أن يكون محتملا ..

(١و٢) ص ١٢٤ و ١٢٥ « علم المناخ » للدكتور أوستن ملر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فالرطوبة والحرارة إذا ما اجتمعتا كونتا هواءً خانقا يكاد يزهق الأنفاس .

« والهواء الجاف ، والسماء الصافية ، يساعدان على توغل أشعة الشمس ، فيُحَس بها بمجرد ظهورها فوق الأفق .. وتظهر الشمس فوق الأفق بشكل فجائى ، يبهر الأنظار . . وكلما صعدت فى السماء ، ازدادت الحرارة ، حتى إذا كان الظهر فى فصل الصيف ، قفز الترمومتر إلى نهايته العظمى التى تعوَّد أن يسجلها صيفاً فى المنطقة ، ثم بعد غروب الشمس ، تُفقد الحرارة سريعا بالإشعاع ، وتنخفض درجة الحرارة سريعا أثناء الليل ، كما ارتفعت سريعا أثناء النهار . . ! !

وتتسلط أشعة الشمس ، وقت الظهيرة ، على الأراضى الجرداء ، فتجعل الرمال والصخور من الحرارة بحيث تكاد تلفح الأقدام ، ويسخن الهواء الذى فوق الرمال بالاتصال ، وينشأ ا كفهرار من الحرارة المشعة ، ويظهر « السراب » نتيجة لتباين انكسار الأشعة فى الطبقات الساخنة [1] » .

---

(١) ص ١٢٥ علم المناخ للدكتور آوستن ملر

الحرارة :

الجهة	الحرارة	يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونيو
الخارجة	عظمى	٢٢٫١	٢٤٫٢	٢٨٫٥	٣٣٫٣	٣٨٫٠	٣٩٫١
	صغرى	٦٫٠	٧٫١	١١٫٣	١٥٫٤	٢١٫٢	٢٣٫٢
	الفارق	١٨٫١	١٧٫١	١٧٫٢	١٧٫٩	١٦٫٨	١٥٫٩
قنا	عظمى	٢٢٫٧	٢٥٫٣	٣٠٫٥	٣٥٫٢	٣٨٫٨	٤١٫٠
	صغرى	٦٫٩	٧٫٨	١١٫٤	١٦٫١	٢٠٫٧	٢٣٫٢
	الفارق	١٥٫٨	١٧٫٥	١٩٫١	١٩٫٢	١٨٫٠	١٧٫٨
أسيوط	عظمى	٢٠٫١	٢٢٫٤	٣٦٦	٣١٫٥	٣٥٫٥	٣٧٫١
	صغرى	٦٫١	٧٫١	١٠٫١	١٤٫٥	١٨٫٩	٢١٫٤
	الفارق	١٤٫٠	١٨٫٣	١٦٫٥	١٧٫٠	١٦٫٦	١٦٫٧
القاهرة	عظمى	١٩٫٧	٢١٫٤	٢٤٫٥	٢٨٫٧	٣٢٫٧	٣٥٫٣
	صغرى	٧٫٦	٨٫٤	١٠٫٦	١٣٫٥	١٧٫١	١٩٫٩
	الفارق	١٢٫١	١٣٫٠	١٣٫٩	١٥٫٢	١٥٫٧	١٥٫٤

الحرارة :

الجهة	الحرارة	يوليو	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
الخارجة	عظمى	٣٩,٥	٣٩,٤	٣٦,٩	٣٤,٢	٢٨,٨	٢٣,٣
	صغرى	٢٣,٤	٢٢,٨	٢١,٢	١٨,٦	١٣,٠	٨,٠
	الفارق	١٦,١	١٦,٦	١٥,٤	١٥,٦	١٥,٨	١٥,٣
قنا	عظمى	٤١,٠	٤٠,٧	٣٨,١	٣٥,١	٣٠,١	٢٤,٤
	صغرى	٢٤,١	٢٤,٢	٢٢,٠	١٨,٨	١٣,٦	٨,٩
	الفارق	١٦,٩	١٦,٥	١٦,١	١٦,٣	١٦,٥	١٥,٥
أسيوط	عظمى	٣٧,٢	٣٦,٦	٣٣,٧	٣٠,٦	٢٦,٦	٢١,٦
	صغرى	٢٤,٤	٢٢,٨	٢٠,٩	١٨,٥	١٢,٩	٧,٩
	الفارق	١٢,٨	١٣,٨	١٢,٨	١٢,١	١٣,٧	١٣,٧
القاهرة	عظمى	٣٥,٩	٣٥,٢	٣٢,٦	٣٠,٦	٢٦,٤	٢١,٤
	صغرى	٢١,٧	٢١,٩	١٩,٩	١٧,٦	١٤,٩	٩,٦
	الفارق	١٤,٢	١٣,٣	١٢,٧	١٣,٠	١١,٥	١١,٨

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أن أقصى درجة حرارة سجلت ، كانت ٤٨,٠° سنتيجراد وذلك فى يوم ١٦ مايو سنة ١٩٢٧ مع أن المعدل لهذا الشهر كان ٢٩,٠° سنتيجراد . . وأقل درجة حرارة سجلت ، كانت ٠,٦° سنتيجراد، وذلك فى يوم ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٥ ويوم ٢١ ديسمبر سنة ١٩٤٠ مع أن المعدل لهذا الشهر كان ١٥,٠° سنتيجراد . .

وبمقارنة المعدلات الحرارية بالجدول السابق ، نجد أن « الواحات الخارجة » أقل من « قنا » على مدار السنة . ففى أشهر « يونيو ويوليو وأغسطس » لا يزيد الترمومتر عن درجة ٣٩° سنتيجراد إلا قليلا ، أما فى « قنا » فإن الترمومتر فى ذات الأشهر لا يكاد ينخفض عن درجة ٤١° سنتيجراد ، بينما تكون درجة الحرارة فى « القاهرة » فى نفس الفترة ٣٥° سنتيجراد أو فوقها بقليل . . !!

وفى أشهر « ديسمبر ويناير وفبراير » تتراوح درجة الحرارة نهاراً فى «الخارجة» بين ٢٢° و ٢٤° سنتيجراد، وفى أثناء الليل تهبط إلى ٨,٠° و ٠,٦° سنتيجراد، بينما تكون فى « قنا » ٦,٩° و ٨,٩° سنتيجراد ليلا ، وفى «القاهرة» بين ١٩,٠ و ٢١,١° سنتيجراد نهاراً ، و ٧,٦° و ٩,٦° سنتيجراد ليلا . . !!

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ ــ الأمطـــار

إذا علمنا أن السحب لا تـكاد تظهر فى سماء « الواحات الخارجة » الدائمة الصفاء ، قدرنا ألاّ سبيل للأمطار عليها ، فليس غريباً إذن ، أن تـكون أقصى كمية للأمطار ، أنزلتهـا سماء «الواحات الخارجة» على أرضها ، هى ملليمتر واحد . وذلك فى يوم ٦ فبراير سنة ١٩٣١ .

٣ ــ الرطوبة النسبية . . !

ويبلغ المتوسط اليومى للرطوبة النسبية مداه . فى شهر ديسمبر إذ يصل إلى ٦٠ ٪ ويهبط فى شهر مايو إلى أدناه ٩,٩ ٪ (١)

٤ ــ التبخر

يصل أقصى درجاته فى شهر يونيو ، إذ يبلغ ٢٥,١ ملليمتراً فى اليوم الواحد، وذلك لانتشار حقول الأرز ذات الرى الدائم فى أرجاء الواحات ، ويهبط إلى حده الأدنى فى ديسمبر ، حيث يصل ٩,٩ ملليمترات فى اليوم الواحد .

---

(١) كما جاء بسجل مصلحة الأرصاد الجوية ١٩٢٨ ــــ ١٩٤٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٥ ـ الرياح . . !!

ويلى الحرارة أهمية فى الصحراء ، . . « الرياح » إذ هى العامل الثانى الذى يتحكم فى مصير العمران فى « الواحات الخارجة » و « الواحات الداخلة » خاصة . . وبقية أراضى الصحراء بوجه عام .

فالرياح تنقل الكثبان من أماكنها إلى أماكن أخرى ، وهذه الكثبان لها من الخطر مالها ، إذ تغير على القرى فتطمرها ، والدروب فتمحوها ، وتعيد وجه الأرض سيرته الأولى ، فيضل السارى سواء السبيل ، كما حدث لجيش « قمبيز » الذى سيره عام ٥٢٥ ق . م . من « الواحات الخارجة » إلى « واحة سيوه » ليغزوها ويضرم النار فى معبدها المقدس ، فثارت به الأنواء ، وائتمرت به السافيات ، فى قلب الصحراء ، فطمرته الرمال ، فلم يصل إلى هدفه ، ولم يعد إلى قاعدته التى بدأ منها زحفه ، ولم يقف له أحد ـ حتى اليوم ـ على أثر . . !

كما أن الكثبان تطمر العيون والآبار ، وتكتسح الزروع ، وتعصف نتائج ذلك كله بحياة الإنسان والحيوان ، وترمى كل كائن حى بالهلاك . . !!

هذه هى مضار الرياح العاصفة فى تلك الأصقاع . . . أما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منافعها فقد قال تعالى فى كتابه العزيز : « وأرسلنا الرياح لواقح » إذ تحمل حبوب اللقاح من غصن إلى غصن . . ومن فنن إلى فنن ، ومن زهرة إلى أخرى فتتم عملية الإخصاب ويعقد الثمر ، وتزدهر الأرض بالفاكهة من كل زوج بهيج . حدائق وأعناب ، صنوان وغير صنوان ، تسقى بماء واحد .

والرياح عامل هام فى نقل غذاء النبات إليه ، من أقصى الأرض ، إلى حيث يقيم فى مكانه عنه لا يريم ، وذلك لأنها تهب ملاصقة لسطح الأرض ، فتحمل ذراتها الدقيقة المجهزة بأطيب العناصر الغذائية التى تفيد التربة . . وكذلك تعمل على نشر النباتات بين منطقة وأخرى ، بحملها للبذور المجنحة من مكان إلى مكان ، فإذا ما صادفت ظروفاً ملائمة ، ضربت بجذيراتها فى الأرض ، وأرسلت ريشتها فى الهواء ونمت نماء حسنا .

وللرياح اتجاهات كثيرة فى مهابّها . . والجدول الآتى يبين تلك الاتجاهات وأوقاتها .

الاتجاه	يناير	فبراير	مارس	إبريل	مايو	يونيو	يوليو	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
شمالية	٣٣,٥	٣٣,٢	٤٢,٥	٣٩,٢	٤٠,٤	٥١,٥	٣٩,٩	٤٢,٧	٥٦,٨	٤٦,٢	٤٠,٠	٣٤,٩
شمالية شرقية	٩,٣	١١,٨	١١,٦	١٤,٢	١٥,٥	١٥,٥	١٢,٢	١٠,٥	١٢,٣	١٥,٤	١٢,٥	١١,٨
شرقية	١,٢	١,٧	١,٥	٢,٣	١,٣	٠,٩	١,٥	١,٤	٠,٦	١,٠	١,٩	٢,٢
جنوبية شرقية	١,٤	١,٤	١,٢	١,٢	١,٢	٠,٢	٠,٥	١,٠	٠,٢	٠,٩	١,٠	١,٠
جنوبية	١,١	٠,٩	١,٨	٢,٠	١,٣	٠,٥	٠,٣	٠,٥	٠,٠	٠,٢	١,٠	٠,٨
جنوبية غربية	٠,٢	٠,٩	١,٣	٠,٦	١,٤	٠,٦	٠,٣	٠,٥	٠,٤	٠,٥	٠,٥	٠,٨
غربية	٠,٩	١,٧	١,٣	١,٢	٠,٨	٠,٦	٢,٤	١,٥	٠,٧	٠,٧	٠,٥	١,٠
شمالية غربية	٣,٨	٧,٧	٧,٧	٧,٩	٦,٠	٩,٣	١١,٠	١٠,١	٨,١	٨,٢	٤,٩	٦,٤
مادى	٤٦,٦	٤٠,٧	٣١,١	٣١,٤	٣٢,١	٢١,٤	٣١,٩	٣٢,٧	٢٠,٩	٢٦,٩	٣٧,٧	٤١,١
الحرارة العظمى	٢٢,١	٢٤,٢	٢٨,٥	٣٣,٣	٣٨,٠	٣٩,١	٣٩,٥	٢٩,٤	٣٦,٦	٣٤,٢	٢٨,٨	٢٣,٨
الحرارة الصغرى	٦	٧,١	١١,٢	١٥,٤	٢١,٢	٢٣,٢	٢٣,٤	٢٢,٨	٢١,٢	١٨,٦	١٣,٠	٨,٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن الجدول المتقدم ، يتضح أن أغلب الرياح هى الشمالية ، والشمالية الشرقية ، والشمالية الغربية . . أما الرياح الجنوبية فشدتها فى « أبريل ومايو » حيث موسم الخماسين .

والرياح الجنوبية عبارة عن تيارات مدارية ، مصدرها بالنسبة للواحات الخارجة ، « بلاد النوبة » . تهب محملة بالسافيات فتحيل المنطقة كلها إلى أتون خانق زاخر بالحرارة والأتربة ، وهى سيئة الأثر إلى حد بعيد ، ولقد شاهدنا العاصفة تنتقل بالرمال الزاحفة عبر « الطريق الأسفلت » متماوجة متدافعة كالسيل العَرِمْ

وعادة تهب الرياح الخماسينية الحارة بعد الشروق ، ثم تأخذ فى شدتها كلما أوغلت الشمس فى كبد السماء ، حتى إذا ما انتصف النهار . كانت فى ذروة هبوبها وقد تصل سرعتها إلى ٨٠ ك . م فى الساعة ، ثم تأخذ فى المهادنة بعد الظهر شيئاً فشيئاً ، حتى إذا ما انتصف الليل سكنت تماما ، لتعاود الهبوب مع شروق الشمس دون أن تخلف وعداً ولا موعداً . !

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطرق المؤدية إليها

عدا مركبات الهواء . . فيمكن للمرتحل « للواحات الخارجة » أن يبلغها بطريق السكة الحديد . . حيث يقوم قطار صغير ، من « محطة المواصلة » بالقرب من « فرشوط » . . ليقطع مسافة ١٩٧ ك . م . فى ثمانى ساعات ، ثم يلقى عصا التسيار بعد ذلك فى « مدينة الخارجة » بعد كفاح مرير بين القطار والتضاريس ، التى يتحتم عليه أن يجتاز الطريق فوقها ، أو بينها . ولولا خبرة السائقين بعرّاجة الطريق ، الكثير الالتواءات والانحناءات ، لما قُدِّر لقاطرة واحدة أن تصل إلى نهاية المرحلة . !

ولقد أنشأت هذا الخط « شركة استغلال واحات مصر الغربية » حيث بدأ العمل فيه ، فى ٣١ مارس سنة ١٩٠٦ ، واستغرق إنشاؤه مدة عامين وثمانية أشهر ، حتى إذا ما حل يوم ٢ ديسمبر سنة ١٩٠٨ افتتح الخط لأول مرة . . ! !

واختار المهندسون لمد الخط الحديدى ، أسهل الدروب تدرجاً نحو الواحة ، إذ يخرج الخط من « المواصلة » إلى « القارة » ثم يجتاز « وادى سمهود » الذى يمتاز بسطحه المتدرج ، وبعد ذلك ينحدر فى « درب أبى سروال » حتى يصل إلى « وادى الرفوف »

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حيث يهبط رويداً رويداً إلى قاع المنخفض . . ! !

وكانت الشركة قد أزمعت الامتداد بالخط الحديدى ، من « مدينة الخارجة » إلى « الواحات الداخلة » وسارت به فعلا مسافة ثلاثين كيلومتراً نحو الغرب . عند نقطة تعرف « بالغراب » ولكن الإفلاس عاجلها بضربة من ضرباته القاصمة . . فباعت ممتلكاتها . ومن بينها الخط الحديدى . إذ اشترته الحكومة فى عام ١٩١٤ وقامت بتشغيله حتى الآن . . ! !

« ويقطع المرتحل من « القاهرة » إلى « الخارجة » المسافة فى عشرين ساعة ، فى حين أنه من الممكن اختصار النصف من هذا الوقت ، وما يبذل فى سبيل اجتياز الطريق من جهد مضنٍ ، فيما لو بدأ خط حديدى واسع ، من مدينة « أسيوط » مخترقاً « درب الرملاية[1] » إلى مافوق نقب « الواحات الخارجة » . وإلى هنا تنتهى مرحلته ، إذ تنقل السكة الضيقة التى تعمـــل الآن بين « المواصلة » و« الخارجة » إلى حيث تمتد بين « النقب » و« الخارجة » و« الخارجة » و« باريس » .. ثم « الخارجة » و« موط » فالبلدان المحيطة بها ، وسط تلك السهول الفسيحة ، وبهذا يمكن إنشاء شبكة من السكك الحديدية ، تربط هذه البلاد التى تقع فى منطقة واحدة ، ويفصلها تباعد بعضها عن البعض .. وبالتالى تربطها جميعا ربطا

---

(١) درب الرملاية : المرحلة الأخيرة من درب الأربعين قبل أسيوط .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

محكما بالوادى ، وذلك عملا على سهولة النقل والانتقال منها وإليها والفوائد غير خافية على أحد[١] » .

والخدمات التى يؤديها الخط الحديدى « للواحات الخارجة » جليلة الأثر، إذ سَهَّل الانتقال منها وإليها، وكذلك أرخص أجور النقليات ، فلم يدع مجالا لمستغلٍّ من متعهدى النقل بالسيارات ، أن يتحكم فى رقاب الأهلين ، كما جعل ارتيادها سهلاً على الأولى يبتغونه .

وتبعاً لذلك ظفرت « الواحات الخارجة » دون الواحات جميعا بأكبر المشروعات الحكومية ، سواء أكان فى الرى أو الزراعة ، أو المعمار ، أو التعليم ، وبذلك قفزت إلى الأمام ، حتى أوشكت أن تحاكى بعض مديريات الوادى . . وهى رابضـــة فى قلب الصحراء . . !!

وعدا « الخط الحديدى » فهناك دروب عِدّة تربط هذه الواحات بالواحات الأخرى ، وبقرى كثيرة من صعيد مصر ، وبالسودان . . وأهم هذه الدروب :

---

(١) كتاب الصحراء للمؤلفين ص (٣٤ و ٣٥) وقد بدأ التفكير الآن فى تنفيذ هذا المشروع .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١ — درب الرقيق : (أو درب الأربعين)

هو ذلك الدرب التاريخى ، الذى حرسه فراعنة مصر الأقدمون ، وحموه من قطاع الطرق ، الذين كانوا يكمنون فى الواحات الصغيرة الخربة ، التى تنتشر على امتداده ، ليغدروا بالقوافل التى تقطعه قادمة إلى مصر من أقصى الجنوب ، حاملة العبيد والتجارة ، عندما تعرّج على تلك الواحات للتزوّد بالماء والاستراحة ، وذلك صوناً لتجارة مصر والسودان ، إذ هو طريقها منذ قديم الأزل . . ! !

ويبدأ درب الأربعين من مدينة « الفاشر » بمديرية « دارفور » بالسودان ، ماراً « بواحة سليمة » فى شمال السودان ، على مقربة من حدود مصر الجنوبية ، ثم يدخل فى الأراضى المصرية ، حيث يلتقى فى « واحة الشب » « بدرب الطرفاوى » القادم من « الداخلة » و « الفرافرة » والدرب القادم من « الشلال الأول » ماراً « بواحة دنقل » ثم يمضى شمالا إلى حيث « المكس » « فباريس » « فبولاق » « فالخارجة » ثم يمعن فى صعوده نحو الشمال ، إلى حيث تقبع « عين الغزال » فى نهاية المنخفض ، ومنها تتزود القوافل ، وتأخذ أهبتها ، لكى تشدّ على بقية الدرب ، المعروفة « بدرب الرملاية » فتقطع مسافة ٢٠٠ ك . م ، حتى تصل إلى « أسيوط » والمسافة فيما بين « باريس » و « أسيوط » تقطع الآن بالسيارات . . ! !

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإذا دققنا النظر فى تاريخ « درب الأربعين ، وجدنا أنه ، « طريق الرقيق » فقد كان الطريق الذى تسلكه القوافل التى كانت تجلب إلى مصر الرقيق والعاج وريش النعام . . ومنذ أن أبطلت تجارة الرقيق، أفل نجمه وانتهى تاريخه الحافل بالمآسى .. فكم من روح أزهقت فيه من قسوة الصحراء وعلظة أكباد التجار .. ولعله هو الدرب الوحيد الذى لم يقطعه جمل مرتين ، إذ أن التجار كانوا عندما يصلون إلى «أسيوط» ، يبيعون كل جمال القافلة ، التى أنهكها السفر الطويل الشاق ، ولم تكن الجمال من القلة بحيث يدركها فكر .. بل كانت كثرة مفرطة ، إذ يبلغ عدد جمال القافلة الواحدة بضعة عشر ألفاً ، ومثلها من الرجال والنساء والأطفال العبيد .. هذا هو تاريخ «درب الأربعين» أو كما يجب أن يُسمَّى « درب الرقيق » . . ! !

٣ — درب الغبارى :

ويعتبر أصلح طريق يصل بين واحتى الجنوب ، إذ يبدأ من مدينة «الخارجة» ممتداً نحو الغرب ، حتى إذا ماترك «نقطة الغراب» بقليل اعترضت اتجاهه هضبة عالية ، يزيد ارتفاعها على ٤٠٠ م ، فترغم الدرب على أن ينكسر جنوباً ، حتى إذا ما خلص من دورانه حول الهضبة ، انثنى شمالاً ثم إلى الشمال الغربى، ليصل إلى بلدة « بلاط » ثانية بلدان « الداخلة » على مسيرة ١٥٠ ك . م من «مدينة الخارجة» . . !

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى «بلاط» يلتقى «درب الغبارى» «بالدرب الطويل» القادم من «أسيوط» ثم يمضى الدربان معا إلى «مُوط»، «فالقصر» حيث ينتهيان . . !!

ويمر هذا الدرب بين «الخارجة» و«الداخلة» «بمنطقة الزيات» الفسيحة المستوية السطح وقد عُبِّد أكثر من مرة . .

٣ — درب أبى سروال :

ويتجه من الخارجة إلى ممر الرفوف فى الشمال الشرقى ، حتى إذا ما اجتازه ، سار فى أرض منبسطة إلى «نقب الجلاب» ثم إلى «وادى البطيخ» . . ووادى البطيخ هـــذا عبارة عن وهاد فسيحة ، بها فى كثرة مفرطة ، كرات من الصخر ، فى حجم البطيخ ، ملقاة فى غير انتظام ، كما لو كانت حقل بطيخ فعلا . . ثم يمضى الدرب إلى «قارة رضوان» متخطيا خط الكثبان الذى يعترض الخط الحديدى ، عند الكيلو ١٠٠ . وطول هذا الدرب حوالى ٢١٠ ك . م

وعند الكيلو ٨٨ من الخط الحديدى يتشعب الدرب فى اتجاهين ، أحدهما يذهب إلى فرشوط جنوباً عَبْر «وادى سمهود» والآخر إلى «ولدخلاف» شمالا.

٤ — درب بولاق :

ويخرج من بولاق شرقاً حيث يلتقى عندما ينتصف «بدرب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جاجا » الذى يقاطعه متجها نحو الشمال الشرقى إلى فرشوط ويمضى « درب بولاق » شرقاً إلى الرزيقات والمسافة بين « بولاق » و « الرزيقات » ١٩٨ ك . م . وبين « جاجا » و « فرشوط » ٢٢٤ ك . م كما أن طول الدرب من « بولاق » إلى « فرشوط » ٢٠٢ ك . م .

٥ — درب دوش :

ويخرج من عزبة « دوش » من ضواحى « باريس » حتى إذا ما سار أكثر من ثلثه ، تشعب شعبتين . إحداهما تذهب نحو الشمال الشرقى إلى « إسنا » بطول قدره ٢٢٠ ك . م من « دوش » ، والأخرى تذهب إلى « أدفو » بطول قدره ٢١٠ ك . م من « دوش » .

وعدا ذلك فهناك « درب اليابسة » و « درب الرفوف » وهما غير مستعملين الآن . . ! !

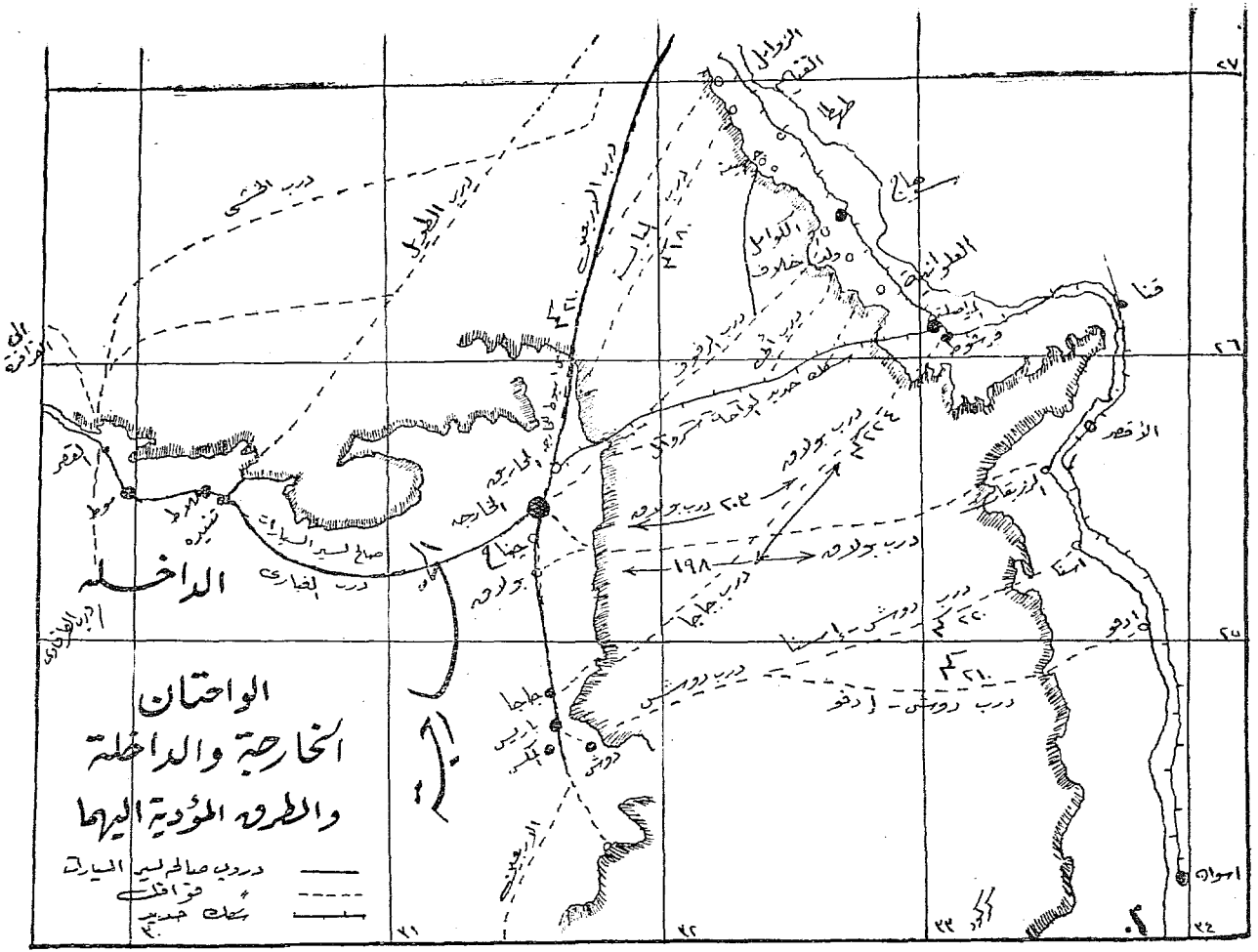
الواحتان
الخارجة والداخلة
والطرق المؤدية اليهما
درب صالح لسير السيارات
قوافل
سكك حديد
الداخلة
الخارجة
الفرافرة
الفقير
تنيده
موط
صاح لسير السيارات
درب الغبارى
ادرب الفرافرة
بلاط
بوله
درب بوله
درب بلاط
درب دوهش - اسنا
درب دوهش - ادفو
دوهش
بلاط
ريس بكر
الزيتون
الوادى
القصير
درب الرويس
درب الشرقى
درب الطويل
درب ادفو
حلوف
قنا
الاقصر
اسنا
ادفو
اسوان
٢٧
٢٦
٢٥
٢٤
٢٣
٢٢
٢١
٢٠
١٩٨ كم
٢٠٤ كم
٢١٠ كم
٢٤٠ كم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثانى

فى ثنايا التاريخ

فى عهد الأسر — أول معاهدة تجارية — ضم الواحات لمصر — العصر الفارسى — معبد هيبس — الأغارقة — الرومان — بين المسيحية والإسلام — تأجير الواحات — غزوة عمر المصرى — غزوة الدراويش — أول حامية مصرية بالواحات .

عرفها قدامى المصريين باسم « كينيم » أو « واحة راس » أى الواحة الجنوبية ، ولقد عرفت فى الميثولوجيا المصرية ، باسم « أوتو Otu » أى مكان التحنيط ، كما ذكرت باسم « واهى Wahy » أى المومياء . . كما عرفوها باسم « الواحة الكبرى » . . ودعاها هيرودوت « جزيرة المجدودين » . . !!

ولقد اتخذت منذ فجر التاريخ ، مستعمرة لنفى الأشقياء والمجرمين ، والذى مهد لهذا الإجراء ، ووضع أسسه ، هم رجال الدين فى الديانات المصرية القديمة ، إذ صاغوا قصة دينية فى ذلك ، جعلت الملوك والرؤساء ، يؤمنون بأن هذه الواحة ، أصلح مكان لنفى الأشقياء ، وتتلخص تلك القصة « فى أن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« سيت » إله الشر والجريمة . عندما قتـــل « أوزوريس » إله الآخرة ، المتولى محاسبة الموتى ومحاكمتهم : قام الإله « حوريس » رب الأرباب ، بمطاردته ، حتى تمكن من القبض عليه وقتله ، فى مدينة « قفط[1] » ، ومن ثمَّ عهد إلى أعوانه فى نقله ، إلى مكان ناءٍ سحيق تائه وسط الصحراء ، يقال له « أوتو OTU » وهو المعروف « بالواحات الخـارجة » الآن ، وذلك عقاباً له على ما ارتكب من جرم » . . ! !

ويبدو من سيرة التاريخ ، أن محاولات كثيرة بُذِلَتْ ، لضم هذه « الواحة إلى حكم فرعون » فى عهد الدولة القديمة ، إذ كان يتطلع إليها كل جالس على العرش ، كما يبدو أنها كانت ذات منعة حربية ، حالت عهداً طويلا بين الفراعين ، وبين تحقيق هذا الغرض ، بدليل أن أحداً منهم لم يستطع ضمها إلى ملكه ، ويؤكد لنا التاريخ صحة هذا الرأى « فى إشارة صريحة تقول بأن فرعون مصر « الملك سيزوستريس الأول[2] » قد بذل محاولة لضم الواحات الخارجة إلى ملكه ، وذلك بأن أوفد أحـــد أمنائه ، المدعو « إكوديدى Ikudidi » على رأس بعثة إلى الواحة الكبرى ، ولكن

---

(١) قفط : مدينة من صعيد مصر ، من أعمال مديرية قنا ، تبعد عن القاهرة ٦٣٩ ك . م و ٤٢٥ متراً .

(٢) سيزوستريس الأول : ثانى ملوك الأسرة الثانية عشرة ، حكم فى المدة من سنة ٢٠٠٠ ق . م إلى سنة ١٩٣٥ ق . م .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التاريخ يقف بنا أمام هذا البعث، فلم يُبِنْ لنا لون الهدف الذى كان البعث الملكى يرمى إليه، ويقصده من وراء هذه الزيارة، فهل كان بعثاً حربياً أم كان بعثاً تجارياً، أم أن البعث كان للكشف والاستطلاع، تمهيداً لغزو يقوم به فرعون فى تلك البلاد..؟؟

ولكن النتيجة التى سجلتها هذه الزيارة: هى أن رئيس البعث الملكى، قد عقد مع أهل «الواحات الخارجة» معاهدة تجارية[1] وكان ذلك فيما بين عامى ٢٠٠٠ و١٩٣٥ ق.م.

وهذه الزيارة؛ وهذه المعاهدة التى جاءت نتيجة لها، نقف منهما على حقائق ثلاث، لا تقبل إحداها شكًّا أو تأويلا..

أما الحقيقة الأولى.. فهى أن «الواحات الخارجة» كانت ولا ريب ذات شأن عظيم. حتى أن شهرتها، وهى قابعة فى قلب الصحراء، قد تخطت الفيافى والقفار، وراحت تقرع أسماع فرعون، الذى أدرك مالها من أهمية كبرى، فأرسل إليها الرسل، سواء أكانت هذه الإرساليات للكشف أم للفتح أم للتعاهد..!!

وأما الحقيقة الثانية: فهى أن رئيس البعث الملكى، وجد بها — دون جدال — سكانا كثيرين ذوى نعم وخيرات وفيرة،

---

(١) برستد: تاريخ مصر من أقدم العصور.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بحال تسمح بتصدير الفائض عن حاجتهم للاتجار به مع وادى النيل ، ويستتبع ذلك أن لهم من القوة الشرائية ما يمكنهم من التعامل مع فرعون ورجاله . معاملة فيها التساوى والمساواة .

وأما الحقيقة الثالثة : فهى أن ما وقف عليه البعث الملكى . من حقيقة قوة هذه الواحة ، بدّل من اتجاه تفكير فرعون ورسوله ؛ فحدا بالثانى لأن يستر موقفه منهم فيعقد معهم معاهدة تجارية . وحمل الأول — أى فرعون — على الرضاء بهذه المعاهدة واعتبارها مقصداً منه عندما أشخص إليها برسله . . ! !

وقد عاد « إكوديدى » من رحلته راضيا عما فعل ، فخوراً به ، بدليل أنه سجل ذلك على حجر أقامه لنفسه بمعبد «أزوريس» بالعرابة المقدسة ، ويعتبر هذا الحجر هو الأثر الوحيد الذى يشير لمثل هذه الزيارة .

* * *

ولقد ذكرت بعض النصوص ، أن « تحتمس الثالث » قد أقطعها أحد أقربائه ، ومعنى ذلك أنها كانت فى حوزته ، ولكن متى ضمت ومتى تم الغزو . . هذا ما يقف التاريخ صامتاً حياله .. فلا ينبئ بشئ أكثر من هذا .. ثم تظهر عبارة أخرى تؤكد أن هذه الواحة خاضعة للتاج المصرى ، بأن تقول هذه العبارة أن « رمسيس الثالث » قد أدخل عليها بعض إصلاحات زراعية ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فغرس بها الكروم . . ومما يؤخذ من هذه الإشارات العابرة أن الواحات الجنوبية ، كانت تنضم لمصر حينا ، وتنفصل عنها حينا آخر . وهناك أثر قديم ممعن فى القدم ، أكثر من هذه الإشارة وتلك ، ذلك الأثر هو « محاجر خفرع » التى كان يقتطع منها أحجار أهرامه الضخمة ، وموقعها فى أقصى الجنوب من المنخفض على مقربة من « عنيبة » ، ولا يتحتم أن يكون « خفرع » قد ضم الواحات إلى ملكه ، بل ربما استولى على نهاية المنخفض لقربها من وادى النيل . .

* * *

على أن عهد الأسرة الثانية والعشرين ، يحدد تاريخ انضمام الواحات جميعاً إلى مصر ، وذلك لأن الملك الجالس على العرش ، كان « شيشنق الأول[1] » مؤسس هذه الأسرة ، وكان من أصل

---

(١) استطاع الليبيون فى عهد الأسرة الحادية والعشرين ، الاستئثار بوظيفتى « كاهن مبعد اهناسيا » و « قائد حرس المدينة » ثم جاء منهم من يدعى « شيشنق » فلقب نفسه « برئيس المشواش الأعظم » . والمشواش Meshwesh قوم كانوا يقطنون الصحراء المجهولة الحد ، فيما وراء الحدود المصرية . وقد ذكرهم « هيرودوت » تحت اسم « ماكسيز Mexes » وهم بلا جدال أصل البربر الذين استعمروا الشمال الإفريقى ، وجرى خلفاء شيشنق هذا على منواله ، حتى استأثروا بالسلطة فى البلاد . وقد مهد ضعف ملوك الأسرة الحادية والعشرين لتكبير هذه الأسرة الطريق لينتزع العرش من فرعون . عام ٩٤٥ ق.م ويجلس على العرش المصرى باسم « شيشنق الأول » وهو غير شيشنق رئيس المشواش الأعظم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ليبي ، انتزع العرش من بين يدى فرعون فى فترة من فترات ضعفه . وحكم من « تل بسطة[١] » فى عام ٩٤٥ ق . م[٢] .

وبمجرد تربع « شيشنق » على عرش مصر ، حصر هذا الشرف الرفيع فى أسرته وذراريه ، وقد توصل إلى ذلك بأن زوج ابنه من ابنة « بسيب خمو الثانى » آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين .

وفى عام ٩٣٦ ق . م . شدّ بجيشه على فلسطين ، فبسط نفوذه عليها ، وجاء من غزوته بغنائم كثيرة ، ونقش الجزية التى تقاضاها من فلسطين والنوبة على جدر « الكرنك » ثم عين حاكما ليبيا على « الواحة الكبرى[٣] » وعهد إلى أحد الرؤساء الليبيين بالإشراف على غربى الوجه البحرى ، وطرق المواصلات البرية إلى الواحات ، ويعتبر هذا بدء ضم الواحات إلى مصر بصفة دائمة .

وجاء العصر الفارسى ، فأبرز ما « للواحات الخارجة » من أهمية بالنسبة للجالس على عرش مصر ، إذ سير إليها « قمبيز » خمسين

---

(١) تل بسطة : عاصمة الديار المصرية فى عهد الأسرة الثانية والعشرين الليبية اختطها شيشنق الأول مؤسس هذه الأسرة وموقعها شرق الدلتا . فى الجنوب الشرقى لمدينة الزقازيق . ولا تزال من أطلالها بقية حتى الآن وهى معمورة من الطين

(٢) مانيثون .

(٣) الواحة الكبرى : الواحة الخارجة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ألف مقاتل ، فصلوا من « طيبة[١] » ، حيث بلغوا الواحات بعد سبعة أيام ، ويقول « هيرودوت[٢] » ، فى ذلك . إن الغرض من تسيير هذا الجيش الفارسى ، إلى الواحة المنعزلة ، ليس لغزوها فقط ، وإنما لكى يشدّ منها على « واحة سيوه » بعد أن يُخضع[٣] « الواحة[٤] » .

وهنا يعنّ لنا أن نناقش هذه الإشارة التى تدل دلالة قاطعة ، على ما كانت عليه هذه الواحة من أهمية بالغة ، وعمران أثار اهتمام المغتصب ، وحتم عليه أن يستولى عليها . . وليس مجرد الاستيلاء فحسب ، بل والاعتماد على خيراتها لتموين جيشه ، الذى سوف يضرب فى الصحراء المقفرة بضعة أسابيع ، حتى يصل إلى « سيوه » .

إن خمسين ألف مقاتل ، سوف يقضون بضعة أسابيع فى الفلاة المقفرة ، لا بد لهم من مُؤنٍ تكفيهم ، ولقد أمكن

---

(١) طيبة : قاعدة الديار المصرية فى عهد الدولة الحديثة التى تبدأ بالأسرة الحادية عشرة فى عام ٢١٦٠ ق . م . وقد استمرت حتى الأسرة العشرين اللهم إلا بعض فترات كان ينتقل مقر الملك منها ثم لا يلبث أن يعود إليها .

(٢) هيرودوت : مؤرخ يونانى عاش فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد .

(٣) الواحة . أو مدينة الواحة . بهذا الاسم وجد هيردوت المصريين يعرفون الواحات الخارجة .

(٤) Rohifs . F . C . « Dreimonanate in derlibyschen wuste caesot 1875 ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

«للواحات الخارجة» أن تنهض بهذا العبء وحدها ، فأى رخاء كانت تنعم به هذه المنطقة . . والرخاء المادى يستتبعه شىء آخر جوهرى ، إذ لابد لانتزاع الخير من الأرض بكثرة . . لا بد لذلك من توافر الأيدى العاملة .

ومن هنا تبرز حقيقة الحال فى تلك الواحات الجنوبية ، فى ذلك العهد . فتقرر صدق الروايات القائلة بأن تعداد السكان كان بضعة ملايين ، والبعض الآخر حددها بثمانية ملايين من الأنفس .

وهناك غير هذا وذاك من الأدلة ، على ما كان لهذه المنطقة من الأهمية ، فى العصور الأولى ، وأول دليل نقيمه على ذلك هى محاولة « دارا الأول » خلف « قمبز » محاولته استرضاء المصريين ، بعدما أغضبهم « قمبز » بتحطيم آلهتهم وإحراق « العجل أبيس[1] » وكيف كانت هذه المحاولة ؟ .

لقد أقام « لآمون معبدين » أحدهما فى « سيوه » ويعرف « بمعبد أم عبيدة » شاده فى إبط الصخرة التى يقوم عليها « معبد آمون » فى « أغورمى » والثانى هو « معبد هيبس » فى مدينة « هيبس » شمالى « الخارجة » الآن بأربعة كيلومترات .

---

(١) العجل أبيس : معبود مصر عند الفتح الفارسى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومعلوم ما كان « لواحة سيوه » من شأن فى ذلك الـ
إذ طبقت شهرتها الآفاق، وحج إليها الملوك والقواد . تلك الش
التى كانت السبب فى إثارة حفيظة « قمبيز » عليها ، فبعث إليها بج
لكى يحطمها ، فابتلعته رمال الصحراء ، وبالقياس إلى شهرة « سي
وأهميتها تكون « الخارجة » مثلها أهمية .

ولو لم تكن « الواحات الخارجة » ، بالغة من الأ
ما بلغته « سيوه » لشاد « دارا » معبده الثانى على ضفاف النيـ
أو فى « ممفيس » حيث تقوم قاعدة البلاد ، حتى يكون أقرب لر
كل مصرى ، منه فى ذلك المكان المنعزل ، الذى كان السفر إليه
بداية القرن العشرين شاقاً . إلا على طائفة مخصوصة ، طـ
التجار الذين تعودوا أن يترددوا بين الواحات والقطر ،
طلب الرزق ، وكذلك طائفة الموظفين الذين تكفلت الدولة بالـ
على راحتهم فى الحِـل والترحال ..!!

إذن .. فسكان الواحات كانوا فى نظر « دارا » أحق
سكان الوادى بالاسترضاء ، وهل يكون ذلك إلا لما لهم من ش
فى البلاد ..!؟

ولقد بدأ « دارا الأول » فى تشييد « معبد هيبس » فى
٥٢١ ق . م . وتوفى عام ٤٨٦ ق . م . دون أن يتمه ، حيث أ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خلفه « دارا الثانى » عام ٤٨٤ ق . م[١] .

ويبلغ طول المعبد ٤٢ متراً . أما عرضه فتسعة عشر متراً وجدرانه مغطاة بكتابات هيروغليفية ، وما يزال حتى الآن بحال جيدة .

ولقد اهتم الفرس باستغلال المياه الجوفية « بالواحات الخارجة » وكانوا يحفرون على أعماق قريبة لا تزيد عن الثمانية أمتار ، فأين هذا العمق من تلك الأعماق البعيدة التى نحفر عليها الآن[٢] ! .

* * *

ولعل زورة « الإسكندر الأكبر » ، « لمعبد آمون » بواحة « سيوه » عام ٣٣٢ ق . م. ثم وصيته بأن تستقر رفاته إلى جوار أبيه الأقدس « آمون » تحت ظلال نخيل « سيوه » ؛ لعل هذا كله من الأسباب القوية ، التى أثارت اهتمام « البطالمة » بالواحات جميعاً ، ومن بينها « الواحة الخارجة » وثم أمر آخر حفز « البطالمة » على العناية بهذه المنطقة ، فيقيمون القلاع فيها

---

(١) بروجس .

(٢) يحفر الآن تفتيش رى الصحارى بآلات Rotory على أعماق أكثر من ٦٥٠ مترا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويشيدون الحصون . ذلك أنها طريق تجارى هام بين شمالى الوادى وجنوبه ، وكانت التجارة نشطة بين الشمال والجنوب فى ذلك العهد ، عن طريق « درب الأربعين » الذى يبدأ من « دارفور » « بالسودان » وينتهى عند مدينة « أسيوط » فى صعيد مصر . . فكان لا بد للدولة الحاكمة فى مصر ، من أن تصون الأمن فى الطرق والدروب ، وتتكفل بحماية القوافل الضاربة فيها من عبث قطاع الطرق ؛ الذين كانوا يتخذون من بعض الواحات الخربة « كواح الشب » مستقراً لهم ، ومرتكزاً يثبون منه على كل عابر لهذا الطريق .

وعدا بناء القلاع والحصون لحماية الطريق ، وتأمين المواصلات ، لم يحدث الأغارقة أثراً يذكر ؛ فلم يكن من بينهم من يحفل بالكهنوت المصرى ، إلاّ بالقدر الذى يقربه من نفوس المصريين ، ولقد وجدوا فى آلهة الوادى ومعابده ، ما يكفيهم مؤونة السفر والابتلاء بمشاق الطريق ، إذا هم فكروا فى السفر إلى الواحات عبر الصحراء . .

أما الزراعة وتفجير العيون ، فكانت سياستها ناهضة دون شك ، إذ كان الأهلون رغم كثرتهم ، يعيشون من حاصلات الأرض الزراعية ، التى يفلحونها بأيديهم ، بل وكانوا يصدرون الفائض من البلح على ظهور الإبل ، إلى وادى النيل ، وكانوا يملكون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أسرابا من الماعز ، وقطعان الأغنام والماشية [١] » وكل ما تركه العهد الإغريقى من آثار هو « قصر الغويطة » الذى أنشأه « بطلميوس الثالث » الملقب « بالرحوم » عام ٢٤٧ — ٢٢٢ ق . م .

وجاء « الرومان » فترسموا طريق الأغارقة ، وساروا على ماكان لهم من سُنة ونهج ، حتى إذا ما دخلت المسيحية أرض النيل ، على يد الغاصبين ، ضج القوم ونفروا منها ، ولم يرضوا بعبادة أوثانهم وأصنامهم بديلا ، فاضطهدهم السادة المستعمرون ، ففروا بدينهم إلى الصحراء . . وواحاتها . . !!

على أن المسيحية لم يطل بها العهد ، دون أن تدخل إلى « الخارجة » ، فهناك قول بأن الذى حملها إليها هو الرسول « بارتلماوس » الذى قام بالتبشير فى هذا الشق الثانى من مصر . .

وفى عام ١٧٥ ميلادية نفى إليهـــا الأسقف « نسطور (Nestorius) أسقف القسطنطينية بسبب آرائه المتطرفة ، وتبعه قوم كثيرون .

أما الآثار التى تركها الرومان فى الواحات الخارجة ، فكثيرة

---

(١) كتاب معالم مصر فى القرن العشرين
Twentieth Century Imrpessions of Egypt

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

متناثرة هنا وهناك . . فهناك « قصر دوش » الذى شاده « ٩٨ — ١١٧ م » وموقعه على مسيرة كيلو مترين نحو الشرق من عزبة « دوش » من ضواحى « باريس » وهى الآن « بعزبة القصر » .

وكذلك « معبد الناضورة » الذى يقع شمالى « الخارجة » بحوالى ٣,٥ ك . م وقد بنى كما يقول « بروجس » فى عهد « أنطونيوس ١٣٨ — ١٦١ » والبقية الباقية منه الآن جدرانه . . !!

وهناك المقابر المسيحية التى تعرف « بدير البجوات » شمالى « الخارجة المدينة » وهى تضم نيفاً ومائتى ضريح مختلفة . الكثير منها ذات عمد ، وأحد هذه الأضرحة الأهمية ، إذ تزين سقفه رسوم مستديرة تمثل مشاهير الذين ذكرت أسماؤهم فى « الكتاب المقدس » وأسماؤهم بحروف يونانية . . ويميل بعض المؤرخين إلى الأخذ بأن مقابر أتباع نسطور . . !!

هذه هى الآثار التى تركها الرومان . . أما العيون والآ فكثيرون أولئك الذين ينسبونها خطأ إلى الرومان . . وا أنها وإن كانت قد حفرت فى العهد الرومانى ، إلا أن الذين حف هم المصريون أنفسهم . . ذلكم المصريون الذين فروا من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرومان وتعسفهم . . وإذا كان للرومان فى تفجيرها من فضل ، فينحصر هذا الفضل - إذا كان يمكن أن يكون الظلم والاضطهاد والتعسف فضلا - ينحصر هذا الفضل فى اضطهاد الروم للمصريين حتى فروا إلى الواحات فاستوطنوها . وفجروا الأرض عيونا ، وغرسوا فيها من كل زوج بهيج . . هذا هو فضل الرومان . . وهذا هو عمل المصريين وآثارهم ، فلا يجب أن تطمس هذه الحقيقة . . ! !

ولقد جاء العرب إلى مصر ، هبة النيل ، وكنانة الله فى أرضه . . جاءوا إليها من صحراء مقفرة شديدة القحط . . « فقنعوا بالمقام بين شطآن الوادى [١] » حيث الخضرة والماء العذب . . وحيث تفيء عليهم أرض النيل من خيراتها ما لم يحلم به بدوى قط . . « فانصرفوا عن الصحراء الليبية وواحاتها ، وقد أتاح ذلك لطائفة من البربر غزوها والسيطرة عليها [٢] »

وكانت نتائج هذا الإهمال ، فى كافة أرض الصحراء والواحات واحدة ، إذ انطمست العيون . وتفشت الأمراض التى أبادت الكثيرين من الأهلين ، وألجأت البقية الباقية إلى الهجرة نحو موطن يسود فيه الأمن والاطمئنان . . الأمر الذى جعل الواحات

(١ ، ٢) ابن خلدون (العبر)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شبه خربة . . وانقطعت أو كادت تنقطع أخبارها حقبة كبيرة من الزمان ، لولا أن عرج عليها بعض مؤرخى العرب، فذكروها لماماً ، فى عبارات وإشارات متفرقة متناثرة ، لا تدل على أن لها شأنا فى الدولة يذكر . . بل لكأنها نافلة من النوافل . . !!

ولعل المسعودى هو أول من ذكر الواحات من مؤرخى العرب إذ قال « أرض الواحات ذات خواص وعجائب ومياه حامضة . . »[1]

وقد ذكر « ابن حوقل » فى عام ٩٦٠ ميلادية « بأن بلاد الواحات كانت معمورة بالمياه والأشجار ، والقرى والناس ، فلم يبق بها ديار ولا مخبر »[2]

وقد ذكى هذا القول « الشريف / لإدريسى » فى القرن الثانى عشر الميلادى ، وأضاف « بأن حيوانانها صارت متوحشة »[3]

ومعنى هذا أن الواحات سلخت مايقرب من الثلاثة القرون وهى القرن العاشر والحادى عشر والثانى عشر ، وهى خربة لا يحفل بأمرها أحد . .

ولقد كانت الواحات فى تلك الحقب وما بعدها ، عرضة

---

(١) مروج الذهب . ج ٥ ص ٥٠ ـ ٥٥
(٢) المسالك والممالك ص ١٠٢
(٣) نزهة المشتاق ص ٢٢

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لإغارات مستمرة من الطامعين فيها ، فقد استولى عليها «النوبيون» فى منتصف القرن العاشر الميلادى[١] وهاجمها « بنو سليم » فى أواخر القرن السابع عشر ، ثم عاد « النوبيون » فأغاروا عليها فى أوائل القرن التاسع عشر .

وأول اتصال منظم بين « الواحات الخارجة » و « القاهرة » كان فى عام ١٨٢٤ ، إذ ضمت إلى مديرية « أسيوط » وولى أمرها فرنسى يدعى « إيمى بك » وله أن يستغل مرافقها الاقتصادية جميعا لقاء مبلغ ١٠٠ جنيه يدفعها للوالى التركى[٢] كل عام ، وقد قام « إيمى بك » بحفر العيون بواسطة دواليب استحضرها لهذا الغرض ، فى الوقت الذى كان ينقب فيه عن المعادن سراً ، وعن الفحم بصفة خاصة[٣] .

وظل « إيمى بك » يتمتع بامتيازه عشرة أعوام ، ثم سحب منه هذا الامتياز ، ووضعت الحكومة المصرية يدها عليها ، وأحلت مكان « إيمى بك » موظفاً « لقب بالمعاون » ركنت إليه تصريف شئون الواحتين . وكان اسمه « حسن افندى » وهو الذى كان وكيلا لايمى بك .

---

(١) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٢

(٢) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ج ٧ ص ١٣٠ — ١٣٢ .

(٣) ولقد ظهرت آثار الفحم فى شهر مايو سنة ١٩٥٦ عند حفر الآبار الحديثة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولقد بلغ من غفلة حكومة « سعيد باشا » والى مصر ، أنها عندما سحبت امتياز « إيمى بك » وأحلت محله « المعاون » ، أن تركت المنطقة كلها وليس فيها جندى نظامى . . الأمر الذى أطمع فيها قبيلة من أولئك البدو الذين يرابطون على شواطى الوادى ومشارف الصحراء ، فى الجزء الواقع بين أسيوط والواحات ، يقال لها « قبيلة الجوابر » إذ دلف إلى الواحات حوالى الألف فارس من رجالها . تحت إمرة شيخها « عمر المصرى » .

وعندما أشرف الغزاة على « مدينة الخارجة » أرسل قائدهم إلى الأهلين رسولا ، يطلب إليهم تسليم مندوب الحكومة . . « المعاون » ولكن الأهلين كانوا على خبرة بطبائع البدو ، فأدركوا ما هم مقبلون عليه من خطر ، إذا هم استسلموا للغزاة الزاحفين عليهم ؛ فرفضوا ما طلب إليهم تنفيذه ، الأمر الذى أدى بالغزاة إلى التريث ، فقد هبت عليهم ريح المقاومة التى انتواها الأهلون . . وكانت فترة التريث هذه كافية لأن تصل النجدة التى طلبها « المعاون » من حامية « أسيوط » . . وفوجىء الغزاة بهذه النجدة النظامية ، التى اشتبكت معهم فى معركة دارت الدائرة بعدها على « عمر المصرى » ورجاله . . ففر بمن بقى معه منهم .

وهنا تتجلى غفلة حكومة « الوالى التركى » « محمد سعيد باشا » الذى كان حرياً به أن يدرك ما يحتم على مشارف هذا المنخفض العظيم ، من خطر يتهدده من آن لآن . فكان لابد له من أن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يضع حامية نظامية تصد الغزاة .. ولكنه لم يفعل شيئاً، بل تركها كما كانت خالية .. الأمر الذى أدى لأن يغزوها « الدراويش » عام ١٨٩٢ م . عن طريق درب الأربعين ، قادمين من الجنوب باتجاه مناكب للاتجاه الذى سلكه « عمر المصرى » بقوة قوامها ٥٠٠ جندى ، تحت قيادة « الأمير عثمان أزرق الجعلى [1] » حيث بلغوا « باريس » فى شهر أغسطس سنة ١٨٩٢ ، وتصادف أن كان رجال الإدارة فى « باريس » ، يوم وصول الغزاة ، فقبض عليهم « الجعلى » واتخذهم أسرى ، على أن إقامة الغزاة لم تطل أكثر من يومين اثنين ، إذ جردت الحكومة المصرية حملة لمقاتلتهم تحت قيادة « هيجل » وعندما وصلت الحملة إلى « باريس » كان الغزاة قد انسحبوا ، فانصرفت الحملة لإقامة الحصون ، وظلت مرابطة قرابة عام ونصف عام ، تنتظر أن يعيد الدراويش الكرة لثانى مرة ، ولكن أحداً لم يظهر فى الأفق ، الأمر الذى جعل « هيجل » يعود تاركا بها حامية صغيرة . وهى أول حامية نظامية تتركها حكومة مصر فى هذه الواحات . . ! !

---

(١) الأمير عثمان أزرق الجعلى من قبيلة الجعليين بالمتمة بشندى سودان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثالث

تعال معنا إلى

الواحات الخارجة

---

١ — على شاطىء الصحراء

. . وعند انبلاج الفجر. كان « قطار الشلال » يغادر رصيف « محطة المواصلة » بعد أن قذف بنا إليه . بين لسعات برد الشتاء القارس . ولم يكن هناك من شيء عدا قطار صغير منزوٍ وراء كشك المحطة ، وفى نهاية الرصيف بضعة رجال ، قد أضرموا النار فى كومة من قش قصب السكر . والتفوا من حولها يصطلونها التماسا للدفء .

وقبل أن تبدو تباشير الصباح ، كان القطار الصغير قد استوعبنا فى أحشائه ، ومضى بنا يتعثر بين الحياض ، التى كانت مانزال بها بقية من ماء الفيضان . . ثم مرق بين صفين من الدور الواطئة ، المتراصة على جانبي الخط الحديدى ، موقظاً من بها من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قوم · بمـــا أحدثه من جلبة وضوضاء ، وبعـــد مسيرة خمسة كيلومترات ، انتهت مرحلته الأولى ،فى محطة « القارة » التى تقوم على مشارف الوادى ، وشاطىء الصحراء . . ! !

و « محطة القارة » هى المستودع العمومى ، لقطـارات الواحات . . . والقطار عبارة عن عربتين إحداهما من الدرجة الأولى نصفها . . والنصف الآخر من الدرجة الثانية . . والعربة الأخرى من الدرجة الثالثة . . وغير هاتين العربتين قد ألحقت به بضعة صهاريج لنقل المـاء ، لتموين صهاريج أخرى فى الطريق ، يتزود منها القطار إذا لزم الأمر ، وعمال السكة الحديد . . والقوافل إذا نضب منها الماء . .

وعندما قفزت الشمس إلى أولى مدارج الأفق ، كان القطار يتحامل على نفسه ، مبتدئاً السير نحو ذلك الهدف البعيد ، الذى لا يدرى أحـد ، بعد كم من الساعات أو الأيام سوف يبلغه ، وإن كان المقدّر له أن ينتهى من رحلته إليه فى ثمانى ساعات .

وأخذت سرعة القطار بعد بضعة كيلومترات ، فى التناقص ، فعلمنا من الرفاق أنه يرتقى مدارج « وادى سمهود » نحو سطح الهضبة الشماء . التى يبلغ ارتفاعهـا حوالى الأربعمائة متر ، فوق مستوى البحر . . ! !

وعند الكيلو ٤٥ توقف القطار تمـاماً فى عرض الصحراء ،